نـافـذة

ضرب من الغفلة

ما نشهده اليوم من كثير من المسؤولين لا يمثل إلا الغفلة بأسوأ مظاهرها، الغفلة التي تخدع صاحبها وتزين له أن التضييق على المواطن فيه الذكاء والخدمة للدولة السورية.

أن تتحدث عن الحرب وتبعاتها، وأن تتناول الكوارث التي تمت، وأن تتحدث عن النتائج السلبية التي أشبعت الحياة السورية، وأن وأن..

قد لا يكون مجدياً أن تفعل ذلك اليوم، فالمواجهة مختلفة تماماً عن المعالجة، وما كان صالحاً لسنوات الحرب لم يعد صالحاً اليوم، فللحرب رجالاتها ونساؤها وتجارها، أما ما بعد الحرب فهي فاصلة مختلفة تماماً، فحين تضع أي حرب أوزارها تغيب الشخصيات المشعلة والنفعية إن أردنا أن نبني الغد الأفضل، ومنذ الأيام الأولى للحرب قال كثيرون، وأنا منهم، إن الشخصيات التي ستبني سورية ليست هي هذه التي نسمع تجييشها وجعجعتها، ونار فتنتها، واليوم وبعد ثماني سنوات، ها نحن نشهد اختفاء أسماء كبيرة من المشهد، ونسمع شتم الذين أشعلوا الفتنة ونار الحرب من واحد من رموزها، وهو صاحب علاقة بالثقافة والفلسفة، وقد أدرك متأخراً أن دوره انتهى ولم يعد له من مسرح يلهو به، وأن دعواته لضرب سورية ودمشق كانت ضرباً من الخيال السياسي والجنون، فعبّر بلفظ جارح أجل الكتابة عن ذكره.

الغد الذي بدأت تباشيره مختلفة للغاية، وهنا يحضرني ما قرأته في مقالات الراحل الدكتور عبد السلام العجيلي عند زياراته لليابان، وقد ورد أن الإمبراطور زار موقعي القنبلتين النوويتين وقال: الأمر كارثي وصعب، ولكننا سننهض! وبالفعل نهضت اليابان مع إمبراطورها نفسه، فقد وضع خطة علمية أخرجت اليابان من كارثته لتتحول اليابان إلى ما هي عليه الآن.. والتباشير التي نراها اليوم توحي بلا أدنى شك أن سورية يمكن أن تكون شعلة المشرق والمنطقة العربية، فبعد صمود أسطوري، وبسالة جيش ومواطن، وتحديات الحياة والعمل من المواطن السوري الذي وقف في الداخل خلف قيادته، ولم يقبل تبديل مواقفه مهما كانت التضحيات، بعد هذا كله لابد من القول: إن القيادة مع هذا الجيش وهذا الشعب تملك القدرة على النهوض، بل تملك القدرة على الإعمار بخلاف كل المخططات الخارجية، فإن كانت كل البلدان تحتاج إلى القروض والهبات وأشياء كثيرة لإعادة الإعمار، فإن سورية التي بقي الإنسان فيها على مبادئه لن تخضع للمليارات التي يسيل لعابها، وهي بقدرتها الذاتية قادرة على إعمار الكثير والترميم والتخطيط، وفي زمن قصير نسبياً ستخرج سورية معمرة الأرض والإنسان بخلاف ما يظنون، لقد أثبتت سورية وخلال سنوات الحرب أنها عصية على الحرب الأهلية، مع أنهم بذلوا جهوداً لإيقادها، وعصية على الحرب الطائفية مع أنهم لوحوا كثيراً بها، وعصية على الفوضى وإن عملوا على ذلك حتى تهيأ للمرجفين أنها قاب قوسين من الفوضى!

واليوم تقتضي المرحلة السورية الجديدة تعاملاً مختلفاً، فالسوري الذي جابه القذائف واكتوى بنارها، والذي دفع الشهداء الكثر لن يكترث لأي شيء، وهو يرى العودة لكل آبق ولكل خصم لسورية الدولة والقيادة، ولكن ليس من حق أحد في الحكومة، وثمة فروق بين الدولة والحكومة، ليس من حق أي فرد من الحكومة أن يسيء إلى المواطن وحياته ولقمة عيشه تحت أي ذريعة كانت، وكل ما نراه اليوم من عقوبات وصعوبات ما هي إلا محاولات لإفشال مشروع سورية الجميلة بعد الحرب، ولن تعطي أي نتائج، فما كان من الحرب أدهى وأمر وأصعب، وعدم شعور أعضاء الحكومة بمعاناة الناس ليس من توجيهات، وليس سياسة عليا، وإنما هي سياسات تنفيذية يريد بها البعض الإساءة إلى المشروع الإصلاحي السوري.. فكل وسائل الحياة كانت متاحة في الحرب، ولم تحل الحرب يوماً دون وصولها لكل السوريين، واليوم بعد انتهاء الحرب نجد من يحاول أن يسلب المواطن متطلبات الحياة، ألا يملك هذا ذاكرة تخبره بأن ما يتلاعب به اليوم في السلم وعودة الحياة كان متاحاً في الحرب؟!

ألا يخطر ببال وزرائنا أن الكهرباء كانت أفضل، وفواتيرها كانت أكثر إقناعاً، وأن الغاز والمازوت كانا أكثر توفراً؟ لاشك بأن هؤلاء يريدون مكافأة المواطن السوري الصابر الصامد، الواقف ضد الحرب بثبات وذلك بأن يضاعفوا سعر أسطوانة الغاز، وسعر ليتر المازوت، وسعر ربطة الخبز، فهذا المواطن يملك الكثير، ويجب أن يكافأ بتفريغ جيوبه، وهو سيفعل! لكنه لن يتحول إلى متسول عندهم، ولن يكف عن انتقاد أداء السادة الوزراء، فهم وجدوا لخدمته وأداء واجباتهم، وهم واهمون إن ظنوا غير ذلك، وإن شاؤوا فلينتظروا إلى قوائم الذين كانوا وهم اليوم ليسوا موجودين، وليتخيل كل واحد منهم نهايته ومغادرته للموقع..

اليوم أنت وزير تتحكم بالغاز والخبز، لكنك في الغد لست كذلك، أما المواطن فما من أحد يستطيع أن يسلبه مواطنيته لأنه الأبقى، فلتتعلم منه كيف تكون مواطناً، حتى إذا عدت لا يلفظك الوطن، ولن تجديك أموالك المودعة في الداخل والخارج!

الحرب لم تستطع أن تفت من عضد الإنسان السوري، والفاسدون والسلطويون المنحرفون لم يستطيعوا حرف رؤيته الصائبة في حب وطنه، وستبقى سورية بمواطنها الذي يزرع ويبيع ويخسر ويربح ولا يعبأ بكيد مسؤول طارئ، لم يستطع أن يكون بمستوى سورية وسياستها وتطلعاتها ومشروعها الذي سيلفظ كل المصلحيين وإن طال الزمن.. ولن تكون سورية إلا بالنهوض الجمعي الذي لم يستطع الكثيرون تفهمه في غمرة امتيازاتهم التي أسكرتهم عن رؤية الحق!

إسماعيل مروة

خلطة النجاح لا يعرف سرها أحد

محمد العدل: فيلم «الدرجة الثالثة» لسعاد حسني وأحمد زكي سقط سقوطاً ذريعاً

القاهرة: لونا بوظو

على الرغم من الأزمة التي تعاني منها صناعة السينما والدراما المصرية والتي تفاقمت بشكل كبير في الآونة الأخيرة وبشكل انعكس سلبا على كمية ونوعية الناتج الفني فيها، إلا أنه ومع ذلك لا تزال هناك بعض المحاولات الجادة لرواد أثروا حياتنا الفنية والثقافية بأعمالهم الفنية المميزة من أجل إيجاد حلول ناجعة ستشكل خطوات واسعة نحو الأمام في انفراج الأزمة الحالية.

والدكتور محمد العدل هو أحد هؤلاء الرواد المستنيرين الذين حظيت جهودهم المخلصة في التصدي لهذه المهمة البالغة الصعوبة في دفع عجلة الإنتاج السينمائي وإعطائها بعدها الحضاري الذي يريد والذي يتناسب مع طموح مشاهديه، بتقدير واهتمام جميع العاملين والمهتمين بالمسألة الفنية.

• «العدل جروب» شركة إنتاج سينمائية تشكلت من أخوة جمعهم حب الفن على اختلاف دراساتهم ومواهبهم، كيف تشكلت لديكم هذه الفكرة؟

– أول من عشق العمل الفني ومارسه في العائلة هو شقيقي المرحوم الفنان سامي العدل وهو أيضاً أول من ابتدأ العملية الإنتاجية عندما أسس شركة «العدل فيلم»، أما عن سبب اتجاهي أنا شخصياً للإنتاج وتأسيسنا شركة إنتاج أخرى هي «العدل جروب» فكان بسبب واقعة معينة، فقد أخذت سيناريو فيلم أعجبني إلى شقيقي سامي لكي يقوم بإنتاجه ولكن فكرة الفيلم لم تعجبه فرفضه وأنا كنت على عكسه من أشد المتحمسين لموضوع الفيلم، لذلك قررت أنا وشقيقي مدحت كاتب السيناريو وشقيقي جمال تأسيس شركه لإنتاج الفيلم، وبالفعل هذا ما حصل وأطلقنا على الشركة اسم «العدل جروب» وخرج الفيلم للنور وحقق نجاحاً كبيراً بأعلى الإيرادات، والفيلم كان طبعاً «صعيدي في الجامعة الأميركية» بطولة محمد هنيدي، فكانت هذه هي نقطة الانطلاقة وبعدها توالت المشاريع الأخرى واستمررنا حتى الآن والحمد لله.

• وما صحة الإشاعة التي تقول إنه سيتم عمل جزء ثان لفيلم صعيدي في الجامعة الأميركية؟

– نحن لا نزال في مرحلة دراسة ومناقشة الفكرة ولم نتخذ قراراً نهائياً بعد.

• لماذا اتجهتم بعد ذلك للإنتاج في الدراما التلفزيونية؟

– نحن نخطو الخطوة الأولى وننتظر النتائج، فإن كانت مشجعة فسنستمر وهذا ما حصل، فبعد نجاحنا في الإنتاج السينمائي قررنا التوجه للدراما التلفزيونية لأنها ضيفة كل منزل وخاصة في شهر رمضان المبارك، وفعلا كان باكورة إنتاجنا مسلسل «حديث الصباح والمساء» من بطولة الفنانة ليلى علوي عام ٢٠٠٠، والمسلسل حقق نجاحاً كبيراً وأثنى عليه جميع النقاد لدرجة أنه أصبح علامة فارقه في الدراما التلفزيونية والتي صنفت إلى ما قبل حديث الصباح والمساء وما بعد حديث الصباح والمساء.

• نجاحكم الكبير في مجال الدراما التلفزيونية جعل أي مسلسل بتوقيع «العدل جروب» يحظى بأكبر نسبة من المشاهدة! فهل السبب يعود برأيك للنصوص القوية؟ أم للمعالجة الدرامية؟ أم لتوخي الدقة باختيار الممثلين؟ أم للإخراج المميز؟

– هل تريدين مني أن أقول كلام الصحف المنمق (الصدق.. ووو... الخ) خلطة النجاح لا أحد يعرفها وإلا لحققت جميع الأعمال الفنية النجاح ولما أخفق أحد، نحن في شركة «العدل جروب» نبذل قصارى جهدنا في انتقاء الموضوع الجيد... السيناريو الأنسب.. المخرج الأفضل، أي إننا نعمل بالأصول وليس العكس (بالمقلوب) وأقصد بذلك أن يأتيني أحد الفنانين الكبار على سبيل المثال ويطلب مني أن أنتج له فيلماً أو مسلسلاً وأبدأ بتفصيل دور وقصة تناسبه، هذا الأمر مرفوض لأن ما يهمنا في الدرجة الأولى الموضوع، سيناريو الفيلم، ومن ثم تبتدئ رحلة البحث عن المخرج المناسب، وبعد أن ننتهي من تنفيذ جميع مراحل المسلسل وفق رؤيتنا وعلى الوجه الأكمل ويصبح جاهزا للعرض ننتظر النتائج فإن كانت مرضية ونجح العمل نشكر الله وإذا اخفق فلا يسعنا القول إلا أدي ربنا ودي حكمته.

> أزمة السينما لن تحل إلا بتضافر جهود العاملين في السينما أنفسهم

• من المعروف أن الجمهور لا يقبل إلا على مشاهدة الأعمال التي تقوم ببطولتها أسماء كبيرة من الفنانين، فهل لهذا السبب غالبا ما تتعاونون مع يسرا، نيللي كريم، محمد رمضان في أغلب أعمالكم؟

– أنا لا أتعامل من المنظور الذي قلته، بالنسبة لي المسألة برمتها تتعلق بالارتياح، فعلى سبيل المثال أنت صحفية ارتحت لك فوافقت على إجراء الحوار الحالي معك على حين أنني أرفض إجراء حوار مع صحفية أخرى لا أرتاح لها، الأمر نفسه عندما يتعلق الأمر بالعمل فأنا أختار من أرتاح للعمل معه سواء أكان مخرجا أم فنانا.. أو أي شخص آخر، والجميع لعلمك يعمل في الإطار ذاته، أقصد «الارتياح»، ولكي أوضح بشكل أكبر عندما أقرأ «سيناريو» ما ويعجبني وأرى أن دور البطولة ينطبق على الفنانة يسرا وهي من أكثر الفنانات اللاتي أرتاح بالتعامل معهن فلن أبحث عن غيرها والأمر ذاته ينطبق على نيللي كريم، محمد هنيدي ومحمد رمضان وغيرهم من الأسماء المعروفة.

• أعلى سعر، تحت السيطرة، فوق مستوى الشبهات، سجن النساء.. جميعها مسلسلات من إنتاجكم كانت البطولة المطلقة فيها نسائية! فهل السبب وراء ذلك يعود للتعاطف الكبير الذي يبديه المشاهد مع المواضيع التي تتعلق بقضية المرأة؟

– أنا لا أنكر أن المسلسلات التي يتناول موضوعها بعضاً من القضايا الاجتماعية المتعلقة بالمرأة تشكل عامل جذب جماهيرياً ولكن لم يحدث أن وضعت هذا الأمر نصب عيني وأنا أختار العمل الذي سيحمل توقيع العدل جروب، لأنني كما سبق أن أخبرتك أبحث عن القصة التي تجذبني.. عن السيناريو الجيد وعندما أحصل عليه أقوم بإنتاجه فورا، الأمر هو محض مصادفة، مواضيع الدراما التي اخترناها كانت بأغلبيتها بطولتها نسائية، موضوع العمل الدرامي هو ما يحدد البطولة إذا كانت لرجل أو امرأة. فهل يعقل مثلا أن آتي ببطولة رجالية لمسلسل تدور أحداثه عن سجن النساء أو عن «ريا وسكينة»!

• والى أي درجه تستطيعون المغامرة في تقديم أعمال فنية من بطولة وجوه جديدة؟

– أنا من المؤمنين بالشباب وبإعطاء المواهب الواعدة منهم الفرصة المناسبة لإثبات نفسهم على الساحة الفنية، ونحن من خلال العدل جروب اكتشفنا الكثير من النجوم المعروفين كمحمد هنيدي الذي أسندنا إليه دور البطولة المطلقة في «صعيدي في الجامعة الأميركية» أحمد السقا، منى زكي، غادة عادل التي كانت تشارك ببدايتها بفيديو كليب لهاني شاكر.. منى شلبي في مسلسل «حديث الصباح والمساء»، أميرة فتحي، فتحي عبد الوهاب، هاني رمزي، حتى الفنان محمد رمضان على الرغم من أن انطلاقته الفنية ابتدأت من مسرحية «قاعدين ليه» مع الراحل سعيد صالح إلا أن الاكتشاف الحقيقي له كان في العام نفسه معنا من خلال «مسلسل أحلام عادية» مع يسرا وما يزال التعاون معه مستمرا فقد قام ببطولة مسلسل «نسر الصعيد» لنا في رمضان الفائت كما سيقوم قريبا ببطولة فيلم «بطل عادي» من إنتاج العدل جروب.

• وما السبب برأيك وراء حجم الشعبية الكبيرة التي يحظى بها الفنان محمد رمضان؟

– محمد رمضان فنان مميز صاحب حضور قوي وجاذبيه شديدة ومحبوب جداً من الشباب بالذات وهم الأغلبية التي تحدد بدورها حجم شعبية نجم ما، لأن الشرائح العمرية للجمهور تتغير كل ١٠ أعوام تقريباً بسبب ظهور أجيال جديدة ترفض مشاهدة أبطال الجيل الذي سبقها، ومع كل جيل جديد يظهر بطل جديد على الساحة الفنية وهذا ما يفسر مثلا صعود نجم الفنان محمد هنيدي ومن ثم الفنان محمد سعد والآن محمد رمضان، فالصدارة الفنية التي يتمتع بها كل نجم جماهيري لا تتعدى العقد الواحد من الزمن وطبعا هناك استثناءات كالفنان الكبير عادل أمام والفنانة يسرا.

• وإلى أي درجه من الممكن أن تتدخل في عمل المخرج وخاصة من ناحية انتقائك للفنانين؟

– أنا لا أتدخل في عمل المخرج على الإطلاق لأنني عندما أختار النص أقوم باختيار المخرج الذي أراه الأنسب لإخراج النص على الشكل الأمثل، وأتفق معه على التكلفة الكلية للعمل، وبعد أن يبتدئ بالعمل تبتدئ مهمته وتقتصر مهمتي على مراقبة مراحل تنفيذ العمل الفني، وعلى سبيل المثال في (فيلم ولد وبنت) الذي كان يخرجه ابني كريم اضطررت للسفر وخلال سفري خابرني مدير الإنتاج كي أشتري معدات جديدة طلبها المخرج لزوم العمل فرفضت لأنني التزم بالاتفاق حرفيا «وأنا في رفضي كنت مخطئا لأن الفيلم كان بالفعل يحتاج لتلك المعدات» وهذا الأمر ينسحب على جميع قراراتي الأخرى، فأنا مؤمن بأن المخرج هو رب العمل المطلق وهو فقط من يحق له تحديد الكادر والفنانين الذين يعملون معه وفق رؤيته الإخراجية.

• تعيش السينما المصرية منذ فتره طويلة أزمة مزمنة تفاقمت مؤخراً بشكل كبير! ما سبب تفاقم هذه الأزمة التي أدت إلى شلل كبير في القطاع الإنتاجي برأيك! هل هو مثلا عزوف وزارة الثقافة عن القيام بدورها الإنتاجي كالسابق؟

– كلمة أزمة كلمة قديمة صاحبت السينما منذ عام ١٩٣٥ وإن اختلفت بمفهومها لأن الصناعة السينمائية اختلفت، فالسينما الآن قد تكون إعلانية، إعلامية، فنية، تجارية وإذا لم يحصل اتفاق ضمني بين الجمهور وصناع العمل السينمائي تحصل أزمة وعلى سبيل المثال فيلم «الدرجة الثالثة» لأحمد زكي وشريف عرفة وسعاد حسني فبالرغم من أن العمل من بطولة أهم نجوم شباك تذاكر السينما إلا أن اسم الفيلم لم يكن واضحاً وصريحا لأن عبارة «الدرجة الثالثة» تعني مباراة بكرة القدم لكن الفيلم في حقيقة الأمر كان ذا مضمون سياسي وهذا الأمر لم يتفق به مع الجمهور الأمر الذي جعله يسقط سقوطا ذريعا لدى عرضه في صالات السينما، أما في الوقت الحالي فالسبب الذي أدى إلى تصاعد وتفاقم أزمة السينما المصرية هو ما حصل من احتكار وتغول من الموزعين والقنوات الفضائية التي تدخلت وبدلت طريقة التوزيع فحصل إرباك كبير في عملية البيع والشراء وبالتالي توقف الكثيرون عن الإنتاج، في السابق كانت السينما المصرية تعتمد على ما يسمى بسهولة التوزيع الداخلي والخارجي والموزع كان يعتبر شريكا في الإنتاج أما الآن فأصبح من المتعذر العمل بالنظام القديم لأننا وصلنا إلى مرحلة يتعذر فيها الإنتاج إلا من يملك مبلغ رأس المال المرصود للإنتاج كاملا غير منقوص وهذا الأمر غير متاح إلا عند قلة قليلة لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة، أما بالنسبة لوزارة الثقافة فهي تتمنى بالطبع أن تعود لسابق عهدها ولدورها الفاعل في الإنتاج السينمائي ولكن ميزانيتها المحدودة لا تسمح لها بذلك.

• إذاً برأيك ما الحل الأمثل من أجل الخروج من عنق الزجاجة؟

– وجهة نظري ربما مختلفة عن وجهة نظر الكثيرين، فأنا أرى أنه لن نخرج من هذه الأزمة إلا بتضافر جهود جميع العاملين في السينما أنفسهم، بمعنى أن تتشكل شركات محدودة تتألف من العاملين في الصناعة السينمائية على اختلاف تخصصاتهم (مخرج، سيناريست مدير، مهندس ديكور، الخ...) كل منهم يضع الأجر الذي يتقاضاه داخل مشروع مشترك لإنتاج فيلم معين وما يتبقى من مبلغ قليل لاستكمال المشروع يصبح من السهل تدبره، فيلم «اشتباك» تم بهذا الشكل وكذلك جميع الأفلام التي تم إنتاجها خارج منظومة الاحتكار وإن كانت هذه العملية الإنتاجية تتم بشكل عشوائي ولكن لو تم ترتيبها وتنظيمها ضمن مجموعات صغيرة لاستطعنا حينها من تجاوز الأزمة وإعادة إحياء الصناعة السينمائية وانتعاشها من جديد.

• وهل لنا أن نعرف رأيك الشخصي بما حققته الدراما السورية حتى الآن؟

– الدراما السورية خطت خطوات نوعية جداً ومميزة وخاصة في مجال الأعمال الدرامية ذات المجاميع البشرية الكبيرة، الدراما السورية وصلت بالفعل لمرحلة منافسة الدراما المصرية العريقة بتاريخها، لأنهم استطاعوا كسر حاجز اللهجة المحلية ولأنهم أدركوا مدى أهميتها في أنها عامل رئيسي من عوامل جذب المشاهدين لمشاهدة العمل الفني أو الابتعاد عنه، فالمواطن المصري مثلا لا يمكنه فهم ما يدور من أحداث في فيلم تونسي أو مغربي لعدم فهمه اللهجة المحلية لتلك البلدان على حين كنا نفاخر ونتباهى بأننا غزونا العالم العربي باللهجة المصرية لدرجة أنها أصبحت الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين مواطني الوطن العربي في جميع أقطاره، فلو أراد مواطن مغربي التحدث مع مواطن يمني على سبيل المثال فانه يختار مخاطبته باللهجة المصرية لسهولة فهمها، أما اليوم فاللهجة العامية السورية هي من غزت مصر عبر دبلجة المسلسلات التركية والتي تبث بكثافة على مختلف المحطات الفضائية وهذا ما أعتبره الخطأ الأكبر الذي وقع فيه المسؤولون في التلفزيون المصري لإحجامهم عن عملية الدوبلاج باللهجة المصرية. ولكنه برأيي في الوقت نفسه حقق ميزة مهمة لأنه انفتاح على التراث والثقافة السورية الثرية والنتيجة أن جميع المواطنين المصريين أصبحوا يفهمون اللهجة السورية وبالذات الجيل الجديد الذي أصبح يتقن التحدث بها فمثلا ابنة أختي الصغيرة قالت لي اليوم «أنت كتير مهضوم يا خالو».

هل تحل صفحات التواصل الاجتماعي بديلاً من الكتاب ؟

د. رحيم هادي الشمخي

رغم أن الكتاب أصبح اليوم مهجوراً حتى من الذين كانوا يعشقونه بالأمس، إلا أن القلة القليلة لا تزال ترى في الكتاب خير صديق، لذا فهم يجدون أنفسهم في بحث دائب عنه ولاسيما الهدف منه يستمتعون به ويتلذذون بقراءته ويأخذهم في رحلة جميلة إلى دنيا المعرفة.

والواقع أن صفحات التواصل الاجتماعي التي قللت كثيراً من دور الكتاب لا يمكنها أن تكون بديلاً من الكتاب، ذلك أن لذة قراءة الكتاب هي إضعاف لذة قراءة صفحات التواصل مهما كثر عليها من ضجة.

وبالعودة إلى السؤال المطروح: ماذا تقرأ اليوم؟ فإن اختيار الكتاب ليس أمراً يسيراً، فالمطروح من الكتب كثير ومتعدد، ترى أي كتاب سيروق لك؟ وهل لديك حب الاستطلاع لما تحتويه صفحات هذا الكتاب أو ذاك؟ ثم أتراك تشعر بالمتعة وتتذوق هذا الكتاب الذي بين يديك، الواقع أن حب القراءة يبدأ غالباً منذ عهد مبكر من حياتنا ترافقه رغبة قوية لكسب المعرفة، أن الأمر أشبه بالهواية التي لا مفر منها هي التي تحفزنا للقراءة، أما إذا فقدنا هذه الرغبة فلا جدوى، على أي حال إن كنت قارئاً مبتدئاً فما عليك إلا أن تستعين بأحد ممن له دراية بهذا الأمر، وها أنذا أدلك على بعض الخطوات وأقول لك: اقرأ ما تيسر من القرآن كل يوم، تتعلم منه الكثير معرفة ولغة وأسلوباً، ذلك أنه وحده مدرسة لا غنى لنا عنه، ثم اقرأ الكتاب الأدبي لمن توافرت له المساحة من التألق الأدبي الرفيع سواء أكانوا كتاباً عرباً أم أجانب نذكر منهم على سبيل المثال: طه حسين، والعقاد، ونجيب محفوظ، وفولتير، وتولستوي، وبرناردشو، وفكتور هيجو، وشكسبير، وديكنز، ثم اقرأ الكتاب التاريخي الذي ينهج نهجاً معتدلاً تكسب به معرفة للأحداث التاريخية التي وقعت بالأمس القريب والبعيد ولا بأس أن تروي ظمأك في كتاب تاريخ الطبري، وكتاب مروج الذهب للمسعودي، وإن شئت فاقرأ كتاب الاجتماع والفلسفة، ذلك أنه ستكون عوناً لك على فهم المجتمع والتغيرات الطارئة عليه، وفهم ما يدور في النفس من مشاعر وخلجات، وإن كانت لك رغبة في الكتب العلمية فإنها تزيدك معرفة على معرفة.

فإذا مضت سنوات على هذا النهج المتواصل فستجد نفسك قد اكتسبت ما لذ وطاب من مناهل المعرفة، حينئذ فقط تكون قد ولجت عالم الثقافة الرحب، فالثقافة ليست مجرد الحصول على الشهادة المدرسية، بل هي بالمزيد من التطلع إلى بطون الكتب وما تحويه من كنوز.

إن كبار الأدباء والمفكرين كانوا في البداية مجرد قراء ثم قادتهم هذه القراءة الطويلة المضنية إلى دنيا القلم، فراحوا يدونون ما يطرأ في رؤوسهم من أفكار وما يمس قلوبهم من خلجات لتفتح الشهرة أبوابها لهم، هكذا هو الأمر إذ لا يولد حدث مبدع أو متألق من دون أن يكون الكتاب رفيقاً له.

إنه الكتاب وحده الذي يأخذنا إلى الأعالي ومن غيره تبدو الصورة معتمة.